

حوار مع الشاعر محمد بودويك عضواً للمكتب المركزي للاتحاد كتاب المغرب مكلف بالإعلام

في أفق إنعقاد المؤتمر 18 للاتحاد



هاوره : عبره حقي

خاص بالموقع

تستعد الفعاليات الثقافية المغربية للإحتفاء بالذكرى الفضية الخمسين لتأسيس اتحاد كتاب المغرب .. خمسون سنة من عمر الاتحاد عرف فيها مسار هذا الإطار الثقافي المغربي العتيق العديد من الإنجازات على المستوى الوطني والعربي كما عرف فيها أيضا العديد من الإخفاقات الناتجة أساسا عن صراعات الداخل وإكراهات الخارج .

وتتشرف مجلة اتحاد كتاب الإنترنت المغاربة الإلكترونية بان تفتح هذا الحوار مع الكاتب محمد بودويك عضواً للمكتب المركزي ومكلف بالإعلام في الاتحاد بهدف تقريب وجهة نظره من ماضي وراهن ومستقبل الاتحاد في ظل التحولات الثقافية والسياسية والإعلامية التي يعيشها المغرب والعالم العربي وكذلك في ظل الإنقلابات الحاصلة في تعدد أسناد النشر وتداعيات ذلك على الوضع الإعتباري للكاتب المغربي بصفة عامة .

1 - بداية السني محمد بودويك نصف قرن بالتحديد إنصرم من عمر اتحاد كتاب المغرب عاش فيها كل أشكال التضيق والصراعات المركزية والفروعية كما عايش زلازل سياسية مغربية وعربية منذ أواسط الستينات إلى الآن . طبعا لستم راضون عن المكاسب الراهنة ، لكن في المقابل كيف تقيمون أنصاف المكاسب التي تحققت ؟

— الرضا التام غير وارد، إذ الرضا علامة اليقين الموهوم، والإنجاز النهائي الكاذب. لكن، بالمقابل، توجد قناعة نسبية بان ما حققه اتحاد كتاب المغرب كاف ليجعلني أقول بان وجوده املاي والأدبي والرمزي، شكل اختراقا للبنيات الفكرية الأسنة، والمنظورات التقليدية للأشياء والواقع والناس.

اشتغل اتحاد الكتاب طيلة عقود بفسيفساء متنوعة من المثقفين العضويين، من مشارب وقناعات ومبادئ إيديولوجية وسياسية مختلفة، تُنسبُ إلى حزب الاستقلال والاتحاد الاشتراكي ومنظمة العمل الديمقراطي (أذاك)، وحزب الطليعة، وحزب التقدم والاشتراكية، وبعض المثقفين المستقلين لكن الذين يحملون السؤال المطروح التاريخي: كيف نجعل وطننا ينخرط في معترك النهوض والديمقراطية والعدالة الاجتماعية، ويقطع إلى غير رجعة - مع فلول الاستعمار والأوليغارشيا، والمتنعمين بظل المؤسسات الحاكمة، و"الكواسج" الجدد فقد انفتح اتحاد كتاب المغرب على الأفق المغاربي والعربي، وكرس - كما سبق - ثقافة حدثية مَسَّتْ ولامست أشكال التعبير المختلفة، والمقاربات الفكرية المتنوعة - الإشكالات، والأسئلة الراجحة في الحقل الثقافي التي كان ينغل بها المغرب.. في فترات السبعينيات و الثمانينيات، وصولا إلى التسعينيات.

وستخرج المنظمة في لحظة أساسية، من شرنقتها، وعدم الإكتفاء بوحادية التوجه العام (اليساري الاشتراكي) إلى سن ثقافة الاعتراف بالرموز التاريخية التي ساهمت في إرساء وإذكاء الحركة الثقافية الوطنية، وفتح الباب في وجه الأدباء الشباب الذين عملوا على ضخ دم جديد في ممارسة الاتحاد، وفي نشر إشعاعه، إذ كانت الأصوات الجديدة إغناء لأفئ وأثراء عميقا لبنى وأسس وأبعاد اتحاد الكتاب، وترسيخا لقيم الأدب والفكر الجديدين من جهة ثانية، ثم تكريسا لمهام الحدث والتحديث.

2 - منذ التأسيس والاتحاد يستمد قوته من استقلالته (النسبية) وعدم مساومته لأية جهة سياسية مقارنة مع إتحدات عربية أخرى ، عماذا سوف تراهنون في المستقبل ليبقى الإتحاد وفيما ملبدئ الإستقلالية ؟

— على رغم رئاسة الاتحاد، على التوالي، من لدن مثقفين مسيسين - ما لم نستثن المؤسس الأول المرحوم - محمد عزيز الحبابي الذي لم يكن منتما - عبد الكريم غلاب (حزب الاستقلال) - محمد برادة واليابوري ومحمد الأشعري وعبد الرفيع جواهري وحسن نجمي (الاتحاد الاشتراكي) ، وعبد الحميد عفار، على رغم ذلك، فإن المكتب المسير (المكتب المركزي) كان يضم جل الحساسيات السياسية الوطنية والتقدمية النشيطة في البلاد. ومع توحده في الرؤيا، والمتكا الإيديولوجيين، بما يعني اشتراكه في مبادئ وقيم الديمقراطية و الحدث والتقدمية، فلاشك أنه

كان عامل تنوع وتخصيب ودينامية ثقافية وتدبيرية جد معتبرة عبرت عن نفسها، وترجمت تماسكها وتشوفها على مستوى التيسير، والتدبير، وإدارة الثقافي وطنيا وعربيا.

تأسس اتحاد كتاب المغرب على الاستقلالية والتقدمية والجمهورية والديمقراطية، الاستقلالية بإزاء التحكم والاستحواد الحزبين -كأننا ما كان هذا الحزب- وإبزاء النظام الحاكم، والمؤسسات الممثلة له، والتي حاولت -في غير مناسبة- اختراقه، وتفجيره، وإحلال بيادق تابعة خانعة لفرض وتصريف ثقافة المخزن، ما يعني زرع ثقافة الاستسلام والتواكل والتبعية و"الأبراجية"، والتقليدية. فهل نجح الاتحاد في هذا الرهان؟ يمكن القول بكل اطمئنان: إنه نجح إلى حد بعيد، إذ ظل خلال عقود عديدة مشاكسا، ومخلخلا للبنيات التقليدية، ومنافحا عن الديمقراطية والحرية والعدالة الاجتماعية، ومنندا بكل أساليب الحجر، والتصويق والقمع التي انتهجها النظام وأزلامه في حق مناضلات ومناضلين دفعوا الثمن غالبا من أجل أفكارهم التقدمية، ومواقفهم المبدئية في الحياة الحرة الكريمة. وكل من يرمي هاته المنظمة العتيدة بتهمة عدم الاستقلالية حيال السلطة والمؤسسة الحاكمة، لا يعدو أن يكون ظالما لها، ومفتريا عليها : (إنني لا أنفي حضور التوجيه الحزبي في بعض المحطات الدالة، والفضول "السياسي" المسطح بما يفيد دس الأنف في الشأن الثقافي للتحكم في زمام التسيير والبرمجة وصولا إلى الإقصاء). وما تلكؤ السلطة في منح اتحاد الكتاب، صفة المنفعة العمومية لأكثر من ثلاثة عقود منذ التأسيس، إلا دليل على استعصاء المنظمة عن التدجين، والتمجين، وفشل الحاكمين في اختراقها، ومن ثم توجيهها، والتحكم في حاضرها ومستقبلها بما يعني رهن استراتيجيتها الثقافية، وفق مخطط حكومي رُميَ في الفترة إياها، بالاشعبي واللاديمقراطي.

فكيف أراهن على مستقبل المنظمة الثقافية التي هي اتحاد كتاب المغرب، والحال أن مستقبلها من صنع مثقفها ومبدعيها، والمنتسبين إلى ميثاقها، وقوانينها التنظيمية، واستراتيجيتها الثقافية التي هي خارطة طريق تقود الخطو، وتيسر البرمجة، والاشتغال المرحلي. نعم، يمكن الحديث -الآن- في سياق الحراك الاجتماعي -السياسي الجديد، عن مماشاة التغيير، والفعل في مسار الأحداث والوقائع، والعمل على الارتقاء بالثقافي في ترابط عضوي بالسياسي بالمعنى الشامل والنبيل للسياسي وطرح المباحكات التافهة جانبا، من أجل تدبير الاختلاف المشاربي السياسي، وتنسيبه، إذا أريد للمنظمة أن تعيد عافيتها، وتسترد توثبها وعنفوانها وروحها.

3 - عرفت أواخر التسعينات من القرن الماضي إثارة مسألة تحويل منظمة الإتحاد إلى جمعية ذات النفع العام . ومن أجل تنوير الرأي العام ، أين وصل هذا الملف المطلبي الهام! ثم ألا تخشون أن يكون هذا المكسب بمقابل تنازلات هي من رصيد الإتحاد النضالي ؟

— أشرت قَبْلًا، إلى أن هذه الصفة، صفة المنفعة العمومية، أو النفع العام، لم يُسْتَجَبَ لها من طرف الدولة إلا بعد تَلَكُّوْه وأَي بعد أن سلخ الاتحاد من عمره أزيد من ثلاثة عقود، أما وقد استجيب للاتحاد، ومنح الصفة التي يفترض أن تخول له «الماء والمرعى» أي إطلاق الأنشطة الثقافية، وتصريف برنامجه العام، وبرامج الفروع والجهات، فإنها ظلت كتلك العجلة الصدئة التي لا تتحرك رغم التنظيف والتزييت، فلا نفع عام ولا يحزنون، علما أن تخصيص ميزانية أو اعتماد مالي لتمويل أنشطة المنظمة—على غرار جمعيات أخرى نالت أكثر مما تستحق— هو حق ثابت من حقوق المنظمات الثقافية الفاعلة، والحال أن الاتحاد فاعل جمعي قوي، إذ تعدت فاعليته وحضوره الثقافي الضارب والمركوز، حدود البلاد، فاضحى يحظى بتقدير واحترام مخصصين من قبل منظمات واتحادات الكتاب والأدباء العرب. من هنا، فإن المنظمة تعتاش ثقافيا على منحة وزارة الثقافة، ومنحة المجلس البلدي، وهما منحتان لا يمكن، بحال، أن تلبيا انتظارات الاتحاد، وتستجيبا لبرامجه وأفقه. وإذا اعتبرنا أن وضع «شقة» ضيقة رهن الاتحاد—في ولاية الشاعر حسن نُجْمِي— إعمالا وأجراً لهذه الصفة، فنحن نقر بهذه «الصدقة» التي لم تتبعها صدقات، وهو ما يفرض رفع سقف المطالب من أجل إقرار الصفة، وخوض أشكال نضالية بغاية تنزيل بنودها. ولا مجال لاعتبار المكسب—إذا تحقق بحذافيره كلها— مئةً أو صدقةً أو «إحساناً»، يستوجب—بالمقابل— تلبية طلبات المانح المضمرة، وإلا فإن كل الجمعيات الفاعلة ثقافيا وتربويا، وحقوقيا، وكل الجرائد والصحف، والنقابات والأحزاب السياسية، التي تمنح من طرف الدولة ما به تقيم أودها، وتفعّل، برامجها وأنشطتها، تعمل بحسب شروط المانح، وترفع عقيرتها في غدوها ورواحها—بالتمهليل له والمديح، بحسبان هذا المنطق.

4 - ماهو تصورك من موقعك كمكلف إعلامي بالإتحاد بعد المؤتمر القادم في عهد وزير للثقافة من حزب إشتراكي يساري ضمن تشكيلة حكومية يترأسها حزب إسلامي خصوصا ما تعلق بحرية الإبداع الفني والأدبي ، وهل الإشارات الحالية من الحزب الذي يترأس الحكومة مشجعة ؟

— في اجتماع لنا مع وزير الثقافة الأستاذ الصبيحي، ما يبعث على التفاؤل والتطمين، طالما أن الرجل غير غريب على الميدان، فهو سليل بيت علم ومعرفة، ومدرك لأهمية الثقافة كمدخل أساس للتنمية، وبناء إنسان الألفية الثالثة. ومدرك، بعد ذلك—لحال الثقافة المغربية، وعدم إيلائها الاعتبار المطلوب. لهذا، فتفاؤلي مسنود. غير أن إشارات ما، وممارسات معينة، وكلاما يطلق، أحيانا—على عواهنه— من قبل مسؤولين وأتباع محسوبين على حزب العدالة والتنمية، تكدر صفاء الصورة المتفائلة التي رسمت قبل حين، وتُغَبِّشُ الأفق المفتوح، الأفق المنتظر. فما نسمعه وما نقرؤه وما يصلنا من لغو بخصوص المهرجانات الفنية السينمائية، والغنائية. وما دَبَّحَهُ

دفتر التحملات للتلفزيون المغربي، من بنود لعل فيها ما يصادر حرية البرمجة، وإطلاق المواد الحية والمنشحة، كل ذلك أشياء تبعث على الخوف، ولكن تتطلب منا رفع سقف التصدي واليقظة عاليا.

5 - من الأسئلة الشائكة القديمة الجديدة سؤال يتعلق بالعضوية وما أثاره من إنتقادات تضرب أحيانا في مصداقية الإنتماء للإتحاد ، أليس الظرف التاريخي اليوم مواتيا للتفكير في تعديل شروط العضوية خصوصا في ظل التحولات الحاصلة في واقع النشر الورقي والإلكتروني ؟

— قيل الكثير عن «العضوية» الممنوحة، وهذا الكثير الذي قيل يدمج المكتب التنفيذي (المركزي سابقا)، بالتواطؤ، والمحسوبية، والزيونية، والإخوانية..إلخ. والحال أن العضوية-كما تعلم- لا تصنع كتابا، ولا تضفي مصداقية نوعية، وقيمة مضافة، على ما يكتبه الكاتب. فهناك أصدقاء كثيرون لهم قيمتهم الاعتبارية ثقافيا-في البلاد- من دون أن ينتسبوا إلى المنظمة بطائفا، إما لأنهم زاهدون في اللقب الرسمي، والأضواء، أو لأنهم يعتقدون-أن الجمعية- أيا كانت- هي قيد رسمي- وَحَيٌّ بالكاتب أن يكون حرا، وأن كتابته هي ما يرفعه أو يضعه، لا الجمعية. ومع ذلك، وبعيدا عن المَعْبَرَةِ : أي بعيدا عن الاستناد إلى المعايير، وأية معايير؟، فإن المكتب التنفيذي، بجمعية-أحيانا- أدباء لهم اعتبارهم في المشهد الثقافي العام- هو من يمنح العضوية لهذا، ويحجبها عن ذلك، في ضوء تقديرات يصعب توصيفها؛ إذ يتداخل فيها الذاتي بالموضوعي، الانطباعي الشخصي، بالمنهج الصارم، الذوق بالثقافة.. إلخ. ولذلك، ظل منح العضوية مثار نقاش وسجال، ومحط تهجم وانتقاد، ونيل من مصداقية المنظمة صحيح أن الظرفية التاريخية مواتية — اليوم- وسياقها قمين بحملنا جميعا، على التفكير في تعديل شروط العضوية، و«عقلنة» المعيرة» ولو بشكل نسبي يتغيا الموضوعية والإجماع، وعرض الطلب على أكثر من لجنة إذا استشكل الأمر، ودب النزاع، والأخذ والرد. ومن ثمة، فالحاجة ماسة إلى تعديل القوانين التنظيمية للإتحاد، بما يتماشى والتحولات والهبات الثقافية والسياسية والاجتماعية، من جهة، وبما يجعل اتحاد كتاب المغرب بعد المؤتمر 18 على موعد مع توصيف جديد للكاتب(ة) المغربي. وهذا ما يجعل السؤال المسكوت عنه يتلج الرأس على الشكل التالي :

ما المراد باتحاد كتاب المغرب؟ هل هو اتحاد للأدباء والأديبات بحصر المعنى؟ أم اتحاد لكل كاتب(ة) حتى ولو اقتصر على أطروحة دكتوراه في الأدب؟ هل من الجائز أن يكون كتاب الاقتصاد والعلوم، أعضاء في الاتحاد؟ وهل ينتمون بمنطق التسمية ومنطوقها إلى الكتاب والأدباء؟ وأصحاب الأطاريح الذين ينتسبون إلى المنظمة اسميا ثم ينطقون، ومع ذلك يحسبون على الاتحاد؟ إلخ.. إلخ..
فالسؤال يتناسل.

6 - لاشك في أن النشر الإلكتروني قد أسهم كثيرا في تفجير طاقات كتاب شباب على الخصوص غيبنهم النشر الورقي ومنهم من تعرضوا للإقصاء الممنهج في الفروع ، من وجهة نظرك كيف يمكن للإتحاد أن يخلق نوعا من المصالحة الرمزية لرد الاعتبار لهؤلاء ؟

— إذا كان النشر الإلكتروني، أسهم في تفجير طاقات كتاب شباب ظلمهم النشر الورقي بإبعادهم، وعدم الالتفات إلى إبداعهم، فإنه من جهة أخرى، أسهم في الخلط والخبط، إذ—بذريعة الحرية، وعدم المراقبة، أصبحنا نقرأ "أدبا" مهزوزا، وإبداعا يشكو من أعطاب في البناء واللغة، والتخييل، وفكرا (مقالات) يتسرب من "شقوقها" الشحوب والعَيُّ، والأخطاء، والاضطراب البين. فانت أمام شاشة الكمبيوتر، تبذل جهدا مضاعفا من حيث متابعة الجيد والجميل والقوي، وأطراح الغث والضعيف والمهزوز. فكيف يستقيم الأمر لديك؟ أليس في الأمر عنت ومشقة ضنكى؟.

فإذا أقصيت هذا الجزء من اهتمامي، وعُدتُ معك إلى الجانب الآخر الجميل الذي يكتب وفق مواصفات الأدب والإبداع، فإنني أشاطرك الرأي بأن العديد من الكتاب والمبدعين، قاصين وروائيين، وشعراء: (ات)، مورس عليهم إقصاء ممنهج، وإبعاد مقصود، وتهميش عن سابق إصرار وترصد، وقع ذلك خلال فترات أعمت فيه الحزبية الضيقة، والدائرة الإخوانية، أبصار بعض المسيرين والمديرين للشان الثقافي، فكانوا—يا للمفارقة- باطشين كالمؤسسة المخزنية التي ينتقدونها.

7 - من دون شك أن الرصيد الثقافي للإتحاد يقاس أيضا بمجموع الإصدارات والمنشورات فضلا عن الأنشطة الثقافية على مستوى المركز والفروع ؟

— نعم، بيّد أن هذا القياس يصبح مشروعا متى ما عرفنا العراقيل والإكراهات المالية التي يعانيها المكتب المسير، حيث إن طبع ونشر وإصدار كتب ومجلات باسم الاتحاد، تتطلب مالا كثيرا، وتتطلب شراكة حقيقية مدعمة و مساندة لمشاريع اتحاد كتاب المغرب. وهو ما يحدث- في غالب الأحيان- رغم شح المورد. ولا تنس أن الاتحاد ينشر موسميا مجلة "أفاق"، المكلفة وبخاصة في حلتها الجديدة الآن، وعدد مستكثبيها، وكاتبها.

كما يطبع لأعضائه ما يتوصل به منهم، في أجناس الكتابة المختلفة، باحثا عن المصدر الممول والمُسوّق.

زد على ذلك، ما استحدثه الاتحاد في ولاية الشاعر محمد الأشعري، إذ يتعلق الأمر بجائزة الأدباء الشباب، التي يعقبها طبع الأعمال الفائزة، ومكافأة أصحابها.

8- تعيش بلادنا تحولات ديموقراطية رائدة على المستوى العربي لعل من تجلياتها تفعيل مبدأ ربط المسؤولية بالمحاسبة إلى أي حد يمكن إعمال هذا المبدأ على مستوى الإتحاد في الولاية القادمة ؟

— في كل مؤتمر مؤتمر، يتقدم المكتب التنفيذي بعرض التقريرين، المالي والأدبي، اللذين يعكسان، بالمعطيات الرقمية، والبيانات المدعومة بالفواتير والحسابات، حصيلة عمله بين المؤتمرين، وهما التقريران اللذان يناقشها المؤتمرين قبل التصويت عليهما بالمصادقة من عدمها. وبالتالي، فالمحاسبة قائمة وناجزة في تحديد المسؤوليات، مسؤولية النجاعة في التدبير، أو التقصير في إدارة الشأن الثقافي والتسيير.

وعلى ذلك، فالميزانية تعرض على لجنة افتحاص متخصصة ومدققة، تذبثق عن المؤتمرين ومن المؤتمر. وما ثبت أن جهة—من خارج الإتحاد- انبرت مُمَحَّصَةً، أو طالبة دَسْ أنفها في تدبير المكتب التنفيذي ملفاته وبرامجه وأنشطته خلال ولايته التسييرية. وهل تعطينا الحكومة مالا وفيرا، وميزانية يتحلب لها الريق، حتى تتبعنا بالافتحاص والمراقبة والمساءلة؟ قصارى ما ياتينا من دعم مالي، بالإضافة إلى بعض المؤسسات العمومية—موسميا وحسب الطلب والحاجة لا يتعدى وزارة الثقافة، والمجلس البلدي.

9- تعرف جل الدول العربية إنتفاضات وعصيانا ضد أنظمة القمع ومصادرة الحريات ، من موقعك كعضو بالمكتب المركزي للإتحاد ومكلف بالإعلام بكل صراحة ماذا قدم إتحاد كتاب المغرب للربيع المغربي والعربي من مواقف وبيانات ومؤازرة ؟؟

— لم يقدم شيئا ذا بال، بل اتسم موقف الإتحاد بالتذبذب والبلبال، ربما لغموض المساق النضالي لهذه الهبّات الجماهيرية، وربما لاختلاط الحابل بالنابل، بما يعني ما تحصّل من هذه الهبّات أو(الثورات) إذ سرّقت من لدن الحركات الإسلامية، ما يزيد الأفق التباسا وكدرا، والحاضر هزهزة ولخبطة- فهل صمت الإتحاد إزاء ما جرى ويجري، وعدم تزكيته ومباركته لحرّاك 20 فبراير، والثورات التونسية والمصرية والليبية والسورية، تقية أم ترجمة لواقع شتات المكتب، وانبهام موقفه، وغبش صورة حيال الغليان الاجتماعي الجماهيري مغربيا وعربيا. أضع السؤال، ولا أنتوي الإجابة، لأن الإجابة اصطفاف وتورط.

10- كلمة أخيرة لكل الكاتبات والكتاب المغاربة بهذه المناسبة الخمسينية ؟

— أحيي — ختاماً - الكاتبات والكتاب المغاربة قاطبة، وأدعوهم إلى الكتابة المسؤولة، والإبداع المؤسس على قيم الحق والخير والجمال، مذكراً إياهم بالذكرى الخمسينية التي هي عمر منظمة عديدة تاريخية اسمها: (اتحاد كتاب المغرب)، (أقول هذا للجديدات والجدد في عالم الكتابة والإبداع)، وهي المنظمة التي بصمت عميقاً—مسار الثقافة والأدب والفن، ببلادنا، إذ قُيِّضَ لها من قاد دَفَنَها في بحر لُجِّيٍّ، وخَضَمَ مضطرب، إلى بَرِّ الفكر والأدب بخصوصية مغربية حديثة وحداثية، انخرطت في سؤال الحاضر والمستقبل، راجئة البركة الأسنة التقليدية، والمعيقة للتقدم، والتطور، واندمجت—في معترك الصراع السياسي كاشفة وفاضحة- السياسة اللاشعبية واللاديمقراطية التي أوصلت البلاد إلى الطريق المسدود، وطارحة أسئلة حارقة على فوران المرحلة في أن تكون أولاً معرفياً وأدبياً وفنياً، وهو ما يعني تاصيل مغربية الكتابة بتواشج وثيق ومتمين مع إبدالات الكتابة والمعرفة مشرقياً وكونياً.

إنها ذكرى يُسْتَطَابُ استرجاعها، من دون الإقامة فيها، لأن السؤال اليوم ليس سؤال الأمس، وأدوات البناء في الكتابة والمسرح والتشكيل والسينما والغناء، غيرها البارحة